مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثامن - السنة الرابعة. رجب ١٤٤١هـ، الموافق مارس ٢٠٢٠م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

- المقاصد القرآنية في سورة ق
  الباحث: أ/ حماد بن محمد يوسف
- بلاغة أسلوب الحوار القرآني: حوار الأنبياء مع أبنائهم نموذجًا
  الباحثة: د/ بدرية بنت سعيد معيض الوادعي
- الاستفهام الإلجائي في الحوار القرآني: دراسة تأصيلية تطبيقية
  الباحث: د/ حامد بن راضي بن مصلح الروقي
- بناء سورة الحاقة على تعظيم الله عز وجل ومقتضى العبودية
  الباحث: د/ توفيق علي زنادي
- تقرير عن رسالة علمية بعنوان: تدبر القرآن الكريم
  الباحث: د/ عبد اللطيف بن عبد الله الهويجري
- تقرير عن مصحف هدايات القرآن الكريم
- تقرير عن المؤتمر القرآني الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم

مجلة تدبر

البحث الثالث

الاستفهام الإنكاري في الحوار القرآني

"دراسة تأصيلية تطبيقية"

الباحث: د/ حامد بن راضي بن مصلح الروقي

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن- كلية القرآن الكريم- بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- حصل على درجة **الماجستير** من كلية القرآن الكريم. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة **بأطروحته:** تفسير القرآن بالقرآن من بداية المائدة إلى نهاية التوبة...
- حصل على درجة **الدكتوراه** من كلية القرآن الكريم. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة **بأطروحته:** تحقيق المحرر الوجيز لابن عطية من بداية غافر إلى نهاية الحجرات.

أهم النتاج العلمي:

- بحث الحجج التي أبطلها القرآن.
- نصوص من الناسخ والمنسوخ للإمام أحمد جمعًا ودراسة.
- تقوية الآثار الغريبة بلغة العرب صحيفة الضحاك انموذجًا.

البريد الإلكتروني: hamad_alroga@hotmail.com

مجلة تدبر

مستخلص البحث

لقد دار هذا البحثُ حولَ تحديد معنى مصطلح (الاستفهام الإلجائي) الوارد في القرآن، وذلك من جهتين:

- **الجهة الأولى:** الجهة التأصيلية؛ وذلك بتعريف المصطلح لغة واستعمالًا، وذِكر أساليبه، وثمراته.
- **الجهة الثانية:** الجهة التطبيقية؛ حيث تم دراسة ٢٠ موضعًا من المواضع التي ذكر فيها العلماء أنَّ فيها استفهامًا إلجائيًّا.

وقد كان البحثُ من الأهمية بمكان من جهة حاجةِ الباحثين في علم التفسير إلى تحرير جميع المصطلحات الواردة في هذا العلم، وهذا المصطلح لم أجِد مَن تحدَّث عنه بالتفصيل لا في كتب علوم القرآن وأصول التفسير ولا في كتب البلاغة، فأحببتُ أن أجمع ما كُتِبَ عنه في مكان واحدٍ.

وقد كان مِن نتائج البحث:

- أنَّ الاستفهام الإلجائي مستعملٌ من قِبَل طائفة من المفسرين ليست بالقليلة من لدن الإمام الطبري إلى عصرنا اليوم.
- في الاستفهام الإلجائي نوعُ إفحامٍ، فلأجل ذلك يجب الاهتمام به في المجادلات.
- من الملاحظ كثرة استخدام هذا الأسلوب في آيات سورة الأنعام التي جاءت لتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.
- بلغت عدد المواضع المدروسة (١٨) موضعًا.

الكلمات المفتاحية: الاستفهام، الإلجاء، الحوار القرآني.

مجلة تدبر

Compulsory Question in the Qur'anic Dialogue: a Thorough Applied study

Prepared by:

Dr. Hamid bin Radi bin Muslih Ar-Rouqi

Assistant Professor at the Department of Tafsir and the Qur'anic Sciences, the College of the Noble Qur'an, the Islamic University of Madinah

Email: hamad_alroga@hotmail.com

Summary:

This research deals with the meaning of the term "compulsory question" in the Noble Qur'an, from two aspects:

The first detailed aspect is based on the linguistic and technical definition of the term in question, its methods and advantages.

The second applied aspect explores twenty instances of compulsory question according to the views of the scholars concerned.

The research is of paramount importance, especially because the researchers of the Science of Tafsir are badly in need of editing all the related terms. As far as I know, no one discussed this term in detail neither in the Qur'anic sciences, the Principles of Tafsir nor rhetoric. That's why I like to collect all that was written about it in this very study.

Findings of the Study:

- Compulsory question is used by a group of exegetes, from the time of Imam Al-Tabari until now.

- Compulsory question is confutative, and thus more attention should be focused on it with respect to polemics.

- It is noticeable that this method is frequently used in the verses of the chapter of Al-An'ām to establish the sound Islamic faith.

- The places studied number 18.

Key words: question, compulsion, Qur'anic dialogue.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله أَحمده وأَستعينه، وأُصَلِّي وأُسَلِّم على المبعوث رحمة للعالمين...

أما بعد:

فهذا بحثٌ لطيفٌ، بَحَثَ عبارةً تكررت في بعض كتب التفسير في مواطن عدة وفي كتب مختلفة، أراد أن يُبَيِّن حقيقتها، ومراد العلماء المستخدمين لها.

وذلك أنَّ المصطلح إذا استُخْدِم على طريقةٍ ومنوالٍ غير معهودين، كان لا بُدَّ من بيانه وتحريره، وتوضيحه للقارئين؛ لئلا يشكل عليهم بمصطلحات أخرى، أو بمعانٍ لغوية غير مقصودة.

والمصطلح الذي قد تكرر في مواطن من كتب التفسير هو مصطلح **(الإلجاء)** المستخدم في مواضع استُخدم فيها الاستفهام في القرآن الكريم في معرض الحوار القرآني الكريم، فكان المراد من هذا البحث القيام بدراسة هذا المصطلح من جهتين:

✧ **الجهة الأولى:** الجهة التأصيلية؛ وذلك بتعريف هذا المصطلح من الناحية اللغوية والاستعمالية، وذكر أسمائه وعلاقته ببعض المصطلحات الأخرى المستخدمة في أنواع الاستخدام، وأساليبه، وثمراته.

✧ **والجهة الثانية:** الجهة التطبيقية؛ وذلك بجمع مواضعه في القرآن الكريم، ودراسة هذه الآيات بجمع أقوال المفسرين فيها، ونحو ذلك مما يتعلق بموضوع الدراسة والبحث.

وذلك لكي لا يبقى هذا المصطلح محلَّ استفهام واستشكال من الباحثين والمتخصصين والقارئين.

وقد جاء هذا البحثُ بعنوان **(الاستفهام الإلجائي في الحوار القرآني: دراسة تأصيلية تطبيقية)**.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُتَمِّم بالخير، وأن يعين على إتمام المراد، إنه القادر على كل شيء، وبه المستعان وعليه التكلان.

۞ موضوع البحث:

دراسة أسلوب الاستفهام الإلجائي في القرآن الكريم.

۞ مشكلة البحث:

عدم وجود البحوث الشافية حول هذا الأسلوب المستخدم في القرآن الكريم.

۞ أسئلة البحث:

- ما معنى الاستفهام الإلجائي؟
- ما مواضع استعماله؟
- ما ثمرات استخدامه؟
- ما المواضع القرآنية التي استُخدم فيها هذا الأسلوب؟

۞ حدود البحث:

بلغت عدد المواضع التي تمت دراستها في هذا البحث ثمانية عشر موضعًا.

۞ مصطلحات البحث:

الاستفهام – الإلجاء – القرآن الكريم.

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ – الاستفادة من هذا الأسلوب القرآني الذي يُلجئ غير المؤمنين إلى

الإقرار بصحة المسائل الإيمانية، وبالاعتراف بما لا سبيل إلى جحده، بحسب المقام الذي خُوطِبوا فيه، كإقرارهم بالربوبية التي تدل على الإقرار بالألوهية، ونحو ذلك.

٢- تحرير معنى بعض المصطلحات والألفاظ المستخدمة في كتب التفسير، والذي قد لا يُتَنَبَّه له بسبب عدم كثرة دورانه؛ مثل مصطلح **(الإلجاء)**.

٣- عدم وجود البحوث السابقة التي تتحدث عن هذا الموضوع، فأردت إثراء المكتبة الإسلامية ورَفْد متخصصي التفسير بهذا البحث اللطيف.

٤- توجيه أنظار الباحثين إلى وجود مصطلحات في كتب التفسير، لا يكثر تداولها، ويقل تكرارها، وهي صالحة للبحث؛ لتحرير هذا المصطلح، ومَن يستخدمه، وما المصطلحات المرادفة له... إلخ.

٥- زيادة فهمنا للقرآن الكريم، ولماذا استُخْدِمَت هذه الأساليب في هذه المقامات، وأيضًا ليستفيد منها المسلمون في محاوراتهم مع غيرهم من أصحاب التوجهات الأخرى؛ في سبيل إقناعهم، ومحاورتهم بالتي هي أحسن.

٦- بيان نوعٍ من أنواع البلاغة المستخدمة في القرآن الكريم.

٧- لاحظَ الباحث أثناء تدريسه مقرر التفسير ورود هذا الأسلوب الاستفهامي في أكثر مِن موطن، مِمَّا جذبه لدراسته.

٨- أسلوب **(الاستفهام الإلجائي)** الذي لا يترك للخصم مجالًا للحجَّة والبرهان؛ هو أسلوب لم يدرس كثيرًا، ولم يُطَبَّق على آيات الاستفهام الإلجائية في القرآن الكريم.

۞ الدراسات السابقة:

لم أجد -بعد البحث والاطِّلاع- أي كتابةٍ سابقةٍ متخصصة في هذا الموضوع، إلا ما هو موجود في ثنايا كتب التفسير المختلفة. وقد تمت مراجعةُ كتب التفسير، وعلوم القرآن، ومعاني القرآن، وكتب البلاغة عمومًا.

۞ خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

التمهيد، وفيه: التعريف بمفردات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاستفهام لغةً، واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الإلجاء لغةً، واصطلاحًا.

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسماؤه.

المطلب الثاني: أساليب الإلجاء.

المطلب الثالث: ثمرات الإلجاء.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس، والمشتملة على:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

❁ منهج البحث:

سينهج البحث نهجًا تأصيليًّا لتأصيل مفهوم الاستفهام الإلجائي، ثم نهجًا استقرائيًّا لاستقراء جميع المواضع وتحليلها بحسب ما يُحتاج إليه من الأدوات التي يحتاجها المفسر.

وسيتبع البحث ما يلتزم به الباحثون في العرف الأكاديمي أثناء كتابة البحوث المحكمة، مثل:

- الالتزام بكتابة البحث بالإملاء الحديث، ومراعاة علامات الترقيم.
- الالتزام بكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وفق أحد برامج النشر المكتبية.
- الالتزام بخدمة البحث من جميع النواحي المحتاج إليها، تعليقًا، وشرحًا، وفهرسةً، ونحو ذلك.

التمهيد

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: الاستفهام لغةً واصطلاحًا.

الاستفهام لغةً:

طلب الفَهم. واستَفْهَمه: سأله أن يُفهِمه. واستَفْهَمني الشيءَ فأفهمتَه وفهَّمتَه تفهيمًا[1].

والاستفهام اصطلاحًا:

إنَّ الاستفهام في اصطلاح علماء اللغة والمفسرين داخلٌ ضمن الإنشاء الطلبي.

ومن المعلوم أنَّ كلام العرب ينقسم إلى قسمين: إخبار، وإنشاء.

والإنشاء نوعان: طلبي، وغير طلبي. وكلا النوعين تحته أنواع.

ويعتبر الاستفهام من أنواع الإنشاء الطَّلبي.

والأصل في الاستفهام أنَّه: طلَبُ الإفْهامِ والإعْلامِ لتَحْصِيلِ فائدةٍ مجهولةٍ لدَى الْمُستَفْهِم[2].

وقد يُقال في تعريفه: طلبُ خبرِ ما ليس عندك[3].

وقد يُراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصليِّ له؛ فيكون المستفهِم لا يُريد فهم شيء أو معرفة شيء لا يعلمه، وإنما يريد شيئًا آخر، ويُسْتَدَلُّ على المعنى الآخر المراد بالقرائن القوليَّة أو الحالية[4].

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٣٨).
(٢) البلاغة العربية، للميداني (١/ ٢٥٨).
(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي (ص٧٨).
(٤) البلاغة العربية، للميداني (١/ ٢٥٨).

وفيما يلي هذه المرادات مجملةً في النقاط الآتية على سبيل الاختصار[1]:

١- **استفهام الإنكار والنفي**، كقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]؛ أي: لست تنقذ من في النار.

٢- **استفهام التقرير**، ويطلب بهذا الاستفهام حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر ما، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]؛ أي: أنا ربكم. ومنه قوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]؛ أي: الله كافي جميع عباده. فليس المراد في الآيتين حقيقة السؤال، وإنما حمل العباد على الإقرار بربوبية الخالق، وكفايته لخلقه.

٣- **استفهام التوبيخ**، كقوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥].

٤- **استفهام التعجب**، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]، ونحوه قوله سبحانه: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠].

٥- **استفهام العتاب**، والمراد منه معاتبة المخاطَب على فعلٍ ما، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين[2]. ومنه قوله سبحانه معاتبًا رسوله ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٣].

---

(١) ومن أراد التوسع فلينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٣٢٨)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ (٤/ ٢٣١٩، ح٣٠٢٧).

٦- **استفهام التذكير**، والمراد بهذا الاستفهام تذكير المخاطَب بأمرٍ ما، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٣٣]. وعلى هذا النحو قوله سبحانه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

٧- **استفهام الافتخار**، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، قصد فرعون بذلك الافتخار على موسى عليه السلام.

٨- **استفهام التهويل والتخويف**، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة:١-٣]، ومنه قوله سبحانه: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٥٠].

٩- **استفهام التفخيم**، وهو استفهام يراد منه تفخيم أمرٍ ما، كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩]؛ أي: ما الذي أعلمك يا محمد أي شيء عليون؟ على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧]؛ أي: إن شأنهم عظيم عند الله.

١٠- **استفهام التكثير**، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦]، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء. وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

١١- **استفهام التسوية بين أمرين**، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]؛ أي: إنذاركم وعدمه سواء.

١٢- **استفهام الأمر والطلب**، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؛ أي: انتهوا؛ ولهذا قال عمر رضي الله عنه: "انتهينا يا رسول الله"(١). ومنه قوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠]؛ أي: أسلموا.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٣٧٨)، وأبو داود في سننه (٣/ ٤٤٤، ح٣٦٧٠)، والنسائي في سننه (٨/ ٢٨٦)، ونقل ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٩٩) عن ابن المديني: "هذا إسناد صالح صحيح".

١٣- استفهام التنبيه والتفكر، كقولـه تعالـى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقـرة: ٢٤٣]، والمعنـى في هـذا ونحوه: انظر بفكـرك في هذه الأمـور، وتنبه لما تحملـه من دلالات وإرشـادات. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

١٤- استفهام الترغيب، وهو استفهام يراد منه الترغيـب في فعل أمرٍ ما، كقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ومنه قوله سـبحانه: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].

١٥- استفهام النهي، كقوله تعالى: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٣]؛ أي: لا تخشوا الكفار. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦]؛ أي: لا تغتر.

١٦- استفهام الدعاء، وهو كالنهي إلا أنه مـن الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]؛ أي: لا تهلكنا. وجعل بعضهم مـن هـذا القبيـل قولـه سـبحانه: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ أي: لا تجعل في الأرض من يفسـد فيها؛ إذ هم لم يسـتفهموا؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

١٧- استفهام التمني، كقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ﴾ [الأعراف: ٥٣]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مُنظَرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٣]، فهذا منهم على جهة التمني والرغبة حيث لا تنفع الرغبة.

١٨- استفهام الاستبطاء، كقولـه تعالـى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨]، بدليـل قوله تعالـى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ [الحج: ٤٧]، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ [الإسـراء: ٥١]. ومنه قوله سـبحانه: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

١٩- استفهام التحضيض، بمعنى الحض على فعلٍ ما، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤]، والمراد: التحضيض على التوبة والصدقة والترغيب فيهما. ونحو ذلك قوله سبحانه: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ ﴾ [النور:٢٢].

٢٠- استفهام التجاهل، كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان:٦٠]، قالوا ذلك على سبيل التجاهل والوقاحة. ومنه قوله سبحانه: ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ:٧]، يعنون به النبي ﷺ، والتعبير عنه ﷺ بذلك من باب التجاهل.

٢١- استفهام التحقير، كقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢١]، فالمراد من الاستفهام هنا تحقير هذه الآلهة. ونحو هذا قوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء:٧٠]، استفهام بمعنى التحقير.

٢٢- استفهام الاستبعاد، كقوله سبحانه: ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات:١٧]، والمعنى: أيُبعث أيضًا آباؤنا؟ على زيادة الاستبعاد، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل؛ ونحوه كقوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: ٥].

٢٣- استفهام التهكم والاستهزاء، كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [هود: ٨٧]، قالوا له ذلك على سبيل التهكم. ومنه قوله سبحانه: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، إذ لا مشاركة بينهم وبين الله في العلم حتى يسأل: أهم أزيد علمًا أم الله؟ ولكن ذلك على سبيل التهكم بهم والاستهزاء.

٢٤- استفهام الإخبار، كقوله تعالى: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [النور:٥٠]، فالآية تخبر عن المنافقين، وأن أمرهم لا يخرج عن أن يكون في قلوبهم مرض لازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون

أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

ومن المهم أن تعلم أن المفسرين قد يختلفون في بعض مواضع الاستفهام فيرجح بعضهم معنى، ويرجح آخر معنى غيره؛ لدليل يصلح لهذا الترجيح. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:١٧]، فقد حمل كثير من المفسرين الاستفهام هنا على أنه للتقرير، وحمله ابن عاشور على أنه للتنبيه[(١)]، فتأمل، ولا يفوتنَّك هذا.

۞ المطلب الثاني: الإلجاء لغة واصطلاحًا.

❑ الإلجاء لغة:

مأخوذ من يلجأ: يعوذ، وفعله لجأ ولجئ يلجأ، والتجأ، وألجأه إلى الشيء: اضطره، وألجأه: عصمه، والملجأ: المعاذ، وجمعه: ألْجاءٌ[(٢)].

فالإلجاء يأتي لثلاثةِ معانٍ:

✓ **المعنى الأول: معنى الاضطرار إلى الشيء والقَسْرُ والتضييق والحاجة إليه،** وهو المعنى الأشهر، والنصوصُ عن العلماء كثيرة في هذا المعنى، أذكر منها ما يلي:

قال الخليل: "ألجأنا الأمرُ إلى كذا؛ أي: اضطرني إليه"[(٣)].

---

(١) وممن حمله على التقرير: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٢/ ٢٤٨)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٩٢)، ومكي في الهداية (٧/ ٤٦٢٥) وغيرهم. وانظر كلام ابن عاشور في: التحرير والتنوير (١٦/ ٢٠٧).

(٢) إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي (١/ ٥٥١).

(٣) العين، للفراهيدي (٦/ ١٧٨). وانظر أيضًا: إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي (١/ ٥٥١)، وتهذيب اللغة، للأزهري (١١/ ١٣١)، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء، للعسكري (١/ ١١٥)، ومختار الصحاح، للرازي (ص٢٧٩).

وقال الزبيدي: "ألجأه إلى كذا: اضطره إليه وأحوجه"(١).

فعلى هذا يكونُ الإلجاءُ عكسَ الاختيار(٢).

✓ **والمعنى الثاني: إسناد الأمر إلى الغير.**

جاء في المعجم الوسيط: "ألجأ أمره إلى الله: أسنده وفوضه"(٣).

وجاء في القاموس الفقهي: "ألجأ أمره إلى الله: أسنده"(٤).

✓ **والمعنى الثالث: حماية الشخص.**

جاء في المعجم الوسيط: "ألجأ الشخصَ: حماهُ من مكروه"(٥).

❑ **الإلجاء اصطلاحًا:**

قبل أن نُبيِّن معنى (الاستفهام الإلجائي) لا بُدَّ أن يتضح لنا معنى الإلجاء في اصطلاح علماء أصول الدين والفقهاء والمفسرين؛ حيث إن مُصْطلح الإلجاء يستخدم في هذه العلوم على معنيين، لا بُدَّ من تبيينهما لأنَّ معنى (الاستفهام الإلجائي) يرجع إلى أحد هذين المعنيين فقط.

أما المعنى الاصطلاحي الأول: فهو الإكراه والقَسْرُ.

قال ابن العربي في تفسير بعضهم: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]: "ومنهم مَن قال: إن معناه: إلا أن يشاء الله إلجائي إليه، وهذا فاسد؛ فإنَّ الله لو ألجأه إليه لم يُتَصَوَّر التكليف فيه بالإلزام؛ لأن الإكراه على فعل الشيء مع الأمر به عندهم محال، فلا وجه لقولهم بحال"(٦).

(١) تاج العروس، للزبيدي (١/ ٤١٩).
(٢) مقالات الإسلاميين، للأشعري (ص٥٤٤).
(٣) المعجم الوسيط (٢/ ٨١٥).
(٤) القاموس الفقهي، لأبو حبيب (١/ ٣٢٨).
(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٨١٥).
(٦) أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٢٣١).

ويقول الصرصري: "لا يعني بالإلجاء إلا: اضطراره إلى الفعل على وجه لا يمكنه التخلص منه"[(١)].

ومنه قول الشهاب: "جعلوا الإرادة قسمين: إلجائية قسرية، وغيرها"[(٢)].

فالإلجاء ضرورة تُنافي الإرادة والمشيئة، كما قال ابن عاشور: "ولا حاجة بنا إلى الخوض في مسألة التكليف الإلجائي، ومنافاة الإلجاء للتكليف"[(٣)].

وأما المعنى الاصطلاحي الثاني: فهو عدمُ وجود مجالٍ لصاحب القلبِ والعقلِ السليمين إلا بأن يتجه إلى اختيار خيارٍ واحدٍ في المسألة التي أُلْجِئَ فيها.

ومنه ما يذكره العلماء مِن أنَّ الإيمان بأمور الغيب ليس إيمانًا ضروريًّا ملجئًا، بعكس ما لو رأى الإنسانُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو رأى الملائكة، أو عاين ذلك عند الموت، فإنَّه يصبح الإيمان إلجائيًّا ضروريًّا.

فليس المقصود مِن ذلك أنَّ الإنسان يُضْرَب أو يهدد حتى يؤمن، لا... بل المقصود هنا أنه لا يجد قلبُه وعقلُه مفرًّا وطريقًا لعدم الإيمان، وذلك لمشاهدته الأمر بعينه وإحساسه له بحواسِّه.

قال ابن العربي: "الإيمان في الدنيا نظري؛ لأن الدلائل الدالة عليه نظرية، إذ لو أظهرها الله تعالى الظهور البيِّن لصارت ضرورية، فيكون الإيمان إلجائيًّا ضروريًّا"[(٤)].

وقال صاحب التنوير: "وإنما لم يقبل التوبة عند الغرغرة لأنها توبة

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للطوفي (١/ ٤٦٨).
(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي، للشهاب (٥/ ١٤٨).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٥٤٢).
(٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، للبسيلي (٣/ ٥٨٥).

إلجاء؛ فقد شاهد هول المطلع ورأى الملائكة: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢]"(١). وهذا ليس إلجاءً قسريًّا لا يمكن التخلص منه؛ فإنَّ إبليس قد رأى مِن ذلك شيئًا وعرفه ومع ذلك لم يؤمن.

ولأجل ذلك يقول الألوسي: "سُنة الله تعالى تكليف الناس بالإيمان من دون إلجاء"(٢).

وقال القاضي صدر الدِّين مَوْهُوب الجَزَرِيُّ: "البارئ -جَلَّتْ قُدرَته- له أساليبُ مختلفة على مجاري تصريف أقداره؛ فإنَّه كان قادرًا على إلجاء المشركين إلى الإقرار بنبوة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء:٤]، ولكنه سبحانه أرسل رسولَه على أساليبِ الأسباب والْمُسَبَّباتِ وجاري العَوائِد الوَاقِعَة مِن أهل الزَّمان"(٣).

وقال الشيخ الشعراوي: "كذلك يقول الحق في موضع آخر بالقرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]، ذلك أنه عندما يصاب الإنسان بحادث جسيم فهو لا يكذب على نفسه، حتى الكافر بالله عندما يجد أن كل الأسباب المادية التي أمامه لا تنفعه فهو يلجأ ويعترف بأنَّ هناك إلهًا واحدًا خالقًا، فيقول: يا رب"(٤).

وقد جاءت الشريعة بأنواعٍ مُلْجِئَةٍ للناس إلى الاعتراف بالحق من المعنى الإلجائي بمعناه الاصطلاحي الثاني؛ فمن ذلك المباهلة، يقول ابن عاشور: "وهذا الدُّعاء إلى المباهلة إلجاء لهم إلى أن يعترفوا بالحق أو يكُفُّوا"(٥).

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٣/ ٤٠٦).
(٢) روح المعاني، للألوسي (١٠/ ٦١).
(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ١٢٢).
(٤) تفسير الشعراوي (٤/ ١٩٥٢).
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٢٦٥).

ومن ذلك ما يشاهده الناس قبل يوم القيامة من علامات الساعة؛ قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢]: "وجملة: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ تَعْلِيل لإظهار هذا الخارِق للعادة؛ حيث لم يُوقِن المشركون بآيات القرآن، فجعل ذلك إلجاء لهم حين لا ينفَعُهُم"(١).

ومن ذلك تسليط العذاب عليهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾؛ أي: العذاب الدنيوي مما يلجئ إلى الرجوع، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨]، فسلَّط الله عليهم العذاب الدنيوي إلجاءً لهم إلى الرجوع وإلى التوبة.

ومن ذلك إلزامهم بتمني الموت، كما في قوله تعالى: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:٦]، والمعنى: إن كُنتم صادقين في زعمكم فتمنَّوا الموتَ. وهذا إلجاء لهم حتَّى يلزمَهُم ثُبُوت شَكِّهِم فيما زعموه(٢).

وإذا ما استمعنا لنستمع إلى ما يقوله الطاهر بن عاشور في آيات إحياء الأرض وحيثية استعمال (مِن) في آية العنكبوت وجدناه يلمس هذا المعنى البلاغي فيقول: "ولما كان سياق الكلام هنا في مساق التقرير كان المقام مقتضيًا للتأكيد بزيادة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣] إلجاءً لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم، فلذلك لم يكن مقتضًى لزيادة ﴿مِنْ﴾ في آية البقرة، وفي آية الجاثية: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤، والجاثية: ٥]"(٣).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ٣٩).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ٢١٦).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩).

بل إنَّ بني إسرائيل استخدموا هذا النوع من الإلجاء مع موسى عليه السلام؛ وذلك كما ذكره عنهم ﷻ في قوله تعالى: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]، فإنَّ ﴿لَن﴾ تدلُّ على استغراق النفي لأزمنة فعل ﴿نَّصْبِرَ﴾ مِن أوَّلها إلى آخرها، وهو معنى التَّأبيد، وفي ذلك إلجاء لِموسى أَن يُبادِر بالسُّؤال، يظُنُّون أنَّهم أيأسوه مِن قبول المنِّ والسَّلوى بعد ذلك الحين[(١)].

والإكراه في اصطلاح فقهاء الحنفية قالوا: "الإكراه قسمان: مُلجئٌ، وغير ملجئ.

فأمَّا الملجئ فهو الذي يكون بالتهديد بإتلاف النفس أو عضو منها، أو بإتلاف جميع المال، أو بقتل مَن يهمُّ الإنسان أمره. قالوا: وهذا النوع من الإكراه يعدم الرضا ويفسد الاختيار دون أن يُعْدِمَه.

وأما الإكراه غير الملجئ فهو الذي يكون بما لا يُفَوِّتُ النفس أو بعض الأعضاء، كالحبس لمدة قصيرة والضرب الذي لا يخشى معه الموت أو تلف شيء من الأعضاء. قالوا: وهذا النوع من الإكراه يُعْدِم الرضا؛ لكنه لا يفسد الاختيار، لعدم اضطرار المكره إلى إتيان ما أكره عليه لتمكنه من الصبر على تحمل ما هُدِّد به، بخلاف القسم الأول"[(٢)].

وقد بيَّن الراغبُ الأصفهانيُّ نوعي الإلجاء غاية البيانِ بل وزاد عليهما ثالثًا في كلام طويل نقلتُه لتوضيح المعنى هنا غاية الإيضاح، حيث يقول: "ما يستحق به من الأفعال اللوم وما لا يستحق به ذلك الأفعال ضربان: إرادي، وغير إرادي.

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٥٢١).

(٢) المصباح المنير، للفيومي (٢/ ٦٦٦)، والمبسوط، للسرخسي (٢٤/ ٤٨)، ورد المحتار، لابن عابدين (٥/ ٨٠).

والإرادي ضربان: ضرب عن روية، وضرب لا عن روية.

فالذي عن روية ضربان؛ أحدهما: الذي عن روية تظن في غاية الشرف، وهو ما يكون بحسب النفس الناطقة، ويسمى الاختيار، وهو طلب ما هو خير له، ويستحق به أبدًا الحمد إذا كان على الحقيقة اختيارًا.

والثاني: عن روية فيما ليس هو في غاية الشرف، وذلك إما بحسب القوة الغضبية: وهو دفع ما يضره، وإما بحسب القوة الشهوية. وكل منهما إذا كان بقدر ما يوجبه العقل يستحق به الحمد، وإذا كان زائدًا أو ناقصًا عما يوجبه العقل يستحق به الذم.

والإرادي الذي عن غير روية واختيارٍ ضربان:

أحدهما: ما يفعله في نفسه. **والثاني:** ما يفعله بغيره.

وكل واحد منهما ضربان: نفع وضر. فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد، وما قصد به نفع غيره فقد يستحق به الحمد والشكر معًا، وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم، وما قصد به ضر غيره فقد يستحق به الذم والعتب عليه.

وغير الإرادي ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: أن يكون قسريًّا، وهو: ما يكون مبدؤه من خارج ولا يكون من أربابه معونة بوجه، كمن دفعته ريح فسقط على آنية فكسرها، فلا ملامة فيه بوجه.

والثاني: أن يكون إلجائيًّا كمن أكرهه سلطان على أن يفعل فعلًا ما، وهذا متى كان الملجأ إليه قبيحًا جدًّا، والسبب الملجئ إليه خفيفًا، يستحق مرتكبه الذم، كمن يُضرب ليقتل إنسانًا. ومتى كان الملجأ إليه ليس بجد قبيح،

والسبب الملجئ إليه عظيمًا، لا يستحق مرتكبه الذم، كمن يوضع على حلقه السيف ويُهدَّد أن يُقتل إن لم يتكلم بكلام قبيح، وكلاهما يقال له: إكراه. والثالث: الخطأ، وهو ما يكون مبدؤه من صاحبه"[1].

وأمَّا الإلجاء في الاستفهام فهو أن يُضْطَرَّ المسؤول إلى إجابة معينةٍ على وجهٍ لا يمكن التخلُّصُ منه.

فيتبين مما سبق أنَّ الإلجاء في هذا المقام ليس إلجاءً حِسِّيًّا يُدْفَع الناسُ إليه دفعًا لا يجدون محيصًا عنه، وإنما هو إلجاء معنويٌّ عقليٌّ، **فهو من معنى الإلجاء الاصطلاحي الثاني**؛ حيث إن السامع والمسؤول لو فكَّر في إجابة سؤال السائل لَمَا وَجَدَ غير هذه الإجابة إن كان يُفَكِّر بطريقة سليمة بعيدة عن الهوى والتعصب، وإلا فيمكن للقائل عنادًا أن يجيب عن السؤال والاستفهام الإلجائي بما يخالف العقل والواقع.

وخلاصة القول: أنَّ الإلجاء في هذا المقام يُضْعِفُ الاختيار ويُعْدِم الرضا، ولكنه لا يُعْدِم الاختيار. ويدل على ذلك ما دلَّت عليه بعضُ الآياتِ التي استخدم فيها الاستفهام الإلجائي مِن أنهم أرادوا ألَّا يُقِرُّوا بالجواب، قال الألوسي: "وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] تقرير للجواب نيابة عنهم، **أو إلجاء لهم إلى الإقرار** بأنَّ الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكِر، ولا على دفعه دافِع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن -كما قال الإمام[2]- في موضع يكون فيه الجواب كذلك، قيل: **وفيه إشارة إلى أنهم تثاقلوا في الجواب** مع تعينه"[3].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني (ص٢٩٦).
(٢) المقصود بالإمام هو الرازي، وانظر قوله في: مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٨٨).
(٣) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨).

المبحث الأول

الدراسة التأصيلية

❁ المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسماؤه.

لما كان مصطلح (الاستفهام الإلجائي) ليس بالمصطلح الرائج الشائع، أحببتُ أن أذكر جملةً من المفسرين مِمَّن ذكروا هذا الاستفهام؛ فقد ذكر هذا النوع من الاستفهام مجموعةٌ من المفسرين، وإن اختلفت عباراتهم في وصفه واسمه.

وسأذكر العلماء الذين ذُكِر عنهم الاستفهام الإلجائي بطريقة صريحة، وأمَّا مَا أشار إلى معنى الإلجاء بحيث لا يُفْهَم إلا بالنظر والتأمُّلِ فقد أوردتُ كلامَه في قسم التطبيق.

☑ أولًا: الحسن البصري:

عن ابن جرير قال: حدَّثنا بِشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول في قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠] **إلجاءٌ إلى نَسبه**؛ فقال الله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف:٥٠] الآية، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم[(١)].

فهُنا نُلاحظ أن الاستفهام الوارد في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ فيه إلجاءٌ للمستفهم منه إلى الاعتراف بكونه أخطأ في اتخاذه إبليس وذريته أولياء من دون الله، كون إبليس -عليه لعنة الله- كان من الجن.

☑ ثانيًا: الطيبي (ت٧٤٣هـ):

قال: "و﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام:١٢] تقرير، قيل: أي **إلجاء إلى الإقرار**.

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ٥٤٠).

الجوهري: تقرير الإنسان بالشيء: حمله على الإقرار به. والأولى أن يكون من تقرير الشيء: إذا جعل في مكانه. الجوهري: قررت عنده الخبر حتى استقر. أي: قرر الجواب لأجلهم، فكأن قوله قولهم، لأنه لا خلاف بينه وبينهم"[1].

☑ ثالثًا: السيوطي (ت٩١١هـ):

قال السيوطي: "قال الطِّيبي: يعني إذا سئلوا عن قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ [الأنعام:١٢]، لا محيد لهم إلا أن يقولوا: الله، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]. اهـ. قوله: (تقرير لهم). قال الشيخ سعد الدين: **أي: إلجاء إلى الإقرار بأن الكل لله**، لأنَّ هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره"[2].

☑ رابعًا: أبو السعود (ت٩٨٢هـ):

قال أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام:٨١] ناطقٌ ببُطلانه حتمًا فإنه كلام مرتَّبٌ على إنكار خوفِه -عليه الصلاة والسلام- في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مَسوقٌ **لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه** -عليه الصلاة والسلام- **لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقِهم لما هم عليه**، وإنما جيءَ بصيغة التفضيلِ المُشعِرَةِ باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رُتبة المكابرةِ والاعتسافِ بسَوْق الكلام على سَنن الإنصاف، والمرادُ بالفريقين: الفريقُ الآمنُ في محل الأمن، والفريقُ الآمنُ في محلِّ الخوف، فإيثارُ مَا عليهِ النظمُ الكريمُ على أن يُقال: فأيُّنا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؛ **لتأكيد الإلجاءِ إلى الجواب الحقِّ بالتنبيه على علَّة الحُكم**

(١) فتوح الغيب، للطيبي (٦/ ٣٢).
(٢) نواهد الأبكار، للسيوطي (٣/ ٣٣٧).

والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجردِ الاحترازِ عن تزكية النفس، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ المفعـولُ إمـا محذوفٌ تعويلًا على ظهـوره بمعونه المقام؛ أي: إن كنتم تعملون من أحقُّ بذلك، أو قصدًا إلى التعميم؛ أي: إن كنتُم تعلمون شيئًا، وإما مـتروكٌ بالمرة؛ أي: إن كنتم مِنْ أُولي العلم، وجوابُ الشـرطِ محذوفٌ؛ أي: فأخـبروني، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنعام:٨٢] اسـتئنافٌ من جهتِـه تعالى للجواب الحقِّ الذي لا محيد عنه"[(١)].

☑ خامسًا: شهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ):

قال شهاب الدين الخفاجي: "قوله: (وهو سؤال تبكيت) في الأساس: بكته بالحجة غلبه وألزمه ما سكت به لعجزه عن الجواب عنه، والمقصود: أنه تقريع لهم وتوبيخ. قوله: (تقرير لهم) التقرير له معنيان: الحمل على الإقرار، والتثبيت بأن يجعله قارًّا متمكنًا، ومنه تقرير المسـألة، وكلاهما مما نطقت به كتب اللغة كما ذكره الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ومعناه على الثاني: أنه تقرير للجواب لأجلهم؛ أي: نيابة عنهم كما في الكشاف، **وعلى الأول إلجاء إلى الإقرار بأن الكل له، لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر على إنكاره أحد** كما قاله النحرير[(٢)]"[(٣)].

☑ سادسًا: إسماعيل حقي (ت١١٢٧هـ):

قال: "﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ﴾ [الأنعام:١٢] **إلجاء لأهل مكة إلـى الإقرار** بأن الكل من العقلاء وغيرهم لله خلقًا وملكًا وتصرفًا، كأنه يقول:

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٥٦).

(٢) المقصود به سعد الدين التفتازاني؛ لأن الشهاب قال في الحاشية (٤/ ١٠١): "فقال النحرير في شرح المفتاح". وكذلك في (٤/ ١٦٥).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٢٧).

هل لكم سبيل إلى عدم الإقرار بذلك، مع كونه من الظهور بحيث لا يقدر أحد على إنكاره"[1].

وقال: "﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٩] **إلجاء لهم إلى الإقرار** بإشراكهم؛ إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره لاشتهارهم به"[2].

☑ سابعًا: محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ):

قال: "﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٢]؛ أي: قُل أيُّها الرَّسول لِقومك الجاحدين لِرسالتك الْمُعرضين عمَّا جِئْتَهُم به مِن أمر التَّوحيد والبعث والْجَزَاء: لِمَن هذه المخلوقات في العالم كُلِّه عُلوِيِّه وسُفْلِيِّه؟ السُّؤال تمهيد لِحُجَّة جديدة، وقد بَيَّنَّا في تفسير الآياتِ السَّابقة أنَّ العَرَبَ كانت تؤمن بِأنَّ الله تعالى هو خالق السَّماوات والأرض، وأنَّ كلَّ ما فيهما ومَن فيهما مِلْك وعَبِيد له، ولفظ ﴿مَا﴾ يشمل العُقلاء معَ غيرهم، وجَزَمَ في الكَشَّاف[3] بأنَّ السُّؤال للتَّبْكِيت، وأنَّ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير لهم؛ أي: هو الله لا خِلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تَقْدِرُون أن تُضِيفُوا شيئًا مِنهُ إلى غيره. وقال غيره: تقريرٌ للجواب نيابةً عنهم، **أو إِلْجَاء لهم إلى الإِقْرَارِ**، وقال الرَّازِيُّ: أَمَرَهُ بالسُّؤال أولًا، ثُمَّ بالجواب ثانيًا[4]. وهذا إنَّما يَحْسُنُ في الموضِعِ الَّذي يكون الجواب فيه قد بَلَغَ في الظُّهُور إلى حيث لا يَقْدِرُ على إنكاره مُنْكِرٌ ولا يَقْدِرُ على دَفْعِهِ دَافِعٌ"[5].

(١) روح البيان، للقنوجي (٣/ ١٣).
(٢) روح البيان، للقنوجي (٣/ ١٧).
(٣) الكشاف، للزمخشري (٢/ ٨).
(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (١٢/ ٤٨٩).
(٥) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٧١).

وقال: "﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الأنعام:٨١] هي بيان أنَّ هذه المقابلة عامَّةٌ لكلِّ مُوَحِّدٍ ومُشْرِكٍ، مِن حيث إنَّ أحد الفريقين مُوَحِّدٌ والآخر مُشْرِكٌ، لا خاصَّة به وبهم، فهي مُتَضَمِّنَةٌ لِعِلَّةِ الأمن. وقيل: إنَّ نُكْتَتَهُ الِاحْتِرَازُ عن تزكية النفس، واسمُ التَّفضيل على غير بابه، فالمراد أيُّنا الحَقِيق بالأمن، ولكنَّه عبَّر باسم التَّفْضِيل ناطِقًا في اسْتِنزَالِهِمْ عن مُنتهى الباطِل -وهو ادِّعاؤهم أنَّهُم هم الحقيقون بالأمن، وأنَّه هو الحقيق بالخوف- إلى الوسط النَّظَرِيِّ بين الأمرين، وهو أيُّ الفريقين أحَقُّ، واحْتِرازًا عَن تَنفيرهم مِن الإصغاء إلى قوله كُلِّه، ثمَّ قال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أيُّهما أحقُّ بالأمن -أو إن كُنتُم مِن أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر- فأخبروني بذلك، وبَيِّنُوه بالدَّلائل، **وهذا إِلْجَاءٌ إلى الاعتراف بِالْحَقِّ** أوِ السُّكُوتِ على الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ"[1].

☑ ثامنًا: الألوسي (ت١٣٧٠هـ):

قال: "وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٩] تقرير للجواب نيابة عنهم، **أو إلجاء لهم إلى الإقرار** بأنَّ الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكِر، ولا على دفعه دافِع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن -كما قال الإمام- في موضع يكون فيه الجواب كذلك، قيل: وفيه إشارة إلى أنهم تثاقلوا في الجواب مع تعينه لكونهم محجوجين"[2].

☑ تاسعًا: المراغي (ت١٣٧١هـ):

قال المراغي: "﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أي: قل أيها

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٤٨٢).
(٢) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨).

الرسول لقومك الجاحدين لرسالتك المعرضين عن دعوتك: لمن هذه المخلوقات علويّها وسفليّها؟

قد كانت العرب تؤمن بأنَّ الله خالق السموات والأرض، وأنَّ كل ما فيهما ملك وعبيد له، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

والمقصود من السؤال التبكيت والتوبيخ.

﴿قُل لِّلَّهِ﴾ هذا تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلجاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له سبحانه ولا خلاف بيني وبينكم في ذلك ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا آخر إليه"[(١)].

وقال: "﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١]، الفريقان: فريق الموحدين الذين يعبدون الله وحده ويخافونه ويرجونه دون غيره، وفريق المشركين الذين استكبروا تأثير بعض الأسباب فاتخذوا ما اتخذوا من الآلهة والأرباب، ونسبوا إلى بعضها النفع والضر كالشمس والقمر والملائكة- أي فأي هذين الفريقين أحق وأجدر بالأمن على نفسه من عاقبة عقيدته وعبادته.

ونكتة التعبير بـ ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن؛ الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشرك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد، والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر فأخبروني بذاك وبيِّنوه بالأدلة، **وفي هذا إلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق**، أو السكوت على الحمق والجهل"[(٢)].

(١) تفسير المراغي (٧/ ٨٦).

(٢) تفسير المراغي (٧/ ١٧٨).

☑ **عاشرًا: عبد الكريم الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ):**

قال: "قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

بعد هذه الوقفة مع هؤلاء المؤمنين الذين حملهم المشركون على الهجرة من أوطانهم، بما أخذوهم به من بأساء وضراء- عادت الآيات لتلقي المشركين بقذائفها المدمّرة، التي تدكّ بها حصون الشرك، وتهدم قلاعه، بحجتها الدامغة، وبيانها المبين...

فالمشركون هنا، في مواجهة سؤال، هو: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾؟

وإنه لا يجرؤ أحد منهم أن يجيب بأن آلهتهم تلك الجاثمة على الأرض هي التي خلقت السموات والأرض، وأنها هي التي سخرت الشمس والقمر...

فمن إذن الذي خلق؟ ومن الذي سخّر؟ جواب واحد، هو الله الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر... إنهم لا ينكرون هذا، ولا سبيل لهم إلى إنكاره.. وإذن فكيف يصرفون وجوههم عن الله، ويقبلون على هذه الدّمى يعبدونها من دونه؟ أليس هذا سفهًا وضلالًا؟ وبلى إنه السّفه والضلال والضّياع أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ هو تعقيب على هذا السؤال، وعلى الجواب الذي أجابوا به نطقًا، **أو إلجاءً، وإلزامًا**، إذ لا جواب لهم غيره! **﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾**"[1].

وقال: "قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦٣].

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٤٦٤).

وهذا سؤال آخر يسأله المشركون: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾؟ فما جوابهم على هذا؟

لقد أقروا -طوعًا أو كرهًا- أنَّ الله هو الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر.. إذ كان ذلك أمرًا لا يمكن المجادلة فيه، ولا يجد معه أيَّ عقل- مهما لَجَّ في الضلال والعناد- سبيلًا إلى المماراة، والتمحك..

وعلى هذا، فإنه وقد سلّم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر، لا بد أن يسلّم بأنه سبحانه هو الذي يملك كل ما في السموات وما في الأرض، وأنه هو سبحانه الذي يصرّف كل شيء فيهما..

فما ينزل من السماء من ماء، فهو من أمر الله، ومن قدرته، وتدبيره.. وما يحدث هذا الماء من آثار في الأرض، فهو من أمر الله، ومن قدرته، وتدبيره..

وإذن، فلا جواب لهؤلاء المشركين إلا الإقرار، بأن الله هو الذي نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها.. فهذا من ذاك، أو من بعض ذاك..

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ هو تعقيب على هذا **الإقرار، الذي ألجأ المشركين إليه**، ما طلع عليهم من آيات الله، فأتوا إليه مذعنين..

وهذا مما يجدد للمؤمن نظرًا إلى نعم الله، حيث قهر جلالُها المشركين الضالين، فاعترفوا برب هذه النعم، وأضافوها إليه.. وإن الحمد والولاء لله، هو ما ينبغي أن يسبّح به المؤمن في هذا المقام، مقام تلك النعمة الجليلة، وهي نزول الماء من السماء، وما لهذا الماء من آثار في بعث الحياة في الحياة!"[1].

☑ **حادي عشر: ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ):**

ابن عاشور هو أكثر من اعتنى ببيان هذا النوع مِن المفسرين.

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٤٦٥).

في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ [الأنعام:١٢] قال: "**ولِكَوْنِهِ مُرادًا به الإلجاءُ إلى الإقرارِ**، كان الجواب عنه بما يريده السائلُ من إقرار المسؤول مُحَقَّقًا لا محيصَ عنه؛ إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو الْمُغالَطة، فلذلك لم ينتظر منه جوابًا"(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ [الأنعام:٤٦]، قال ابن عاشور: "**وهو استفهام مُسْتَعْمَلٌ في التَّقرير يُقصد مِنه إلجاء السَّامعين إلى** النَّظر في جوابه، فيُوقِنوا أنَّه لا إله غيرُ اللهِ يأتيهم بذلك؛ لأنَّه الخالق للسَّمع والأبصار والعقول، فإنَّهم لا يُنكرون أنَّ الأصنام لا تخلق"(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٦٣، ٦٤]، قال ابن عاشور: "**والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ في التقرير والإلجاء**"(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾ [القصص:٦٢، ٦٣]، قال ابن عاشور: "وكان هذا المقصِد **إلجاءً من الله إياهم لِيُعْلِنوا تنَصُّلَهُم** مِن ادِّعاء أنَّهم شُركاء على رُؤُوس الملَإِ"(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣]، قال

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠، ٣٦٨).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٨٠).
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ١٥٩).

ابن عاشور: "قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الروم:٥٠]، وقال: ﴿ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩]، ولَمَّا كان سياق الكلام هنا في مَساق التَّقرير كان الْمَقام مُقتضيًا لِلتَّأكيد بزيادة ﴿ مِنۡ ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ **إلجاءً لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم**؛ فلذلك لم يكن مُقتضًى لزيادة (مِن) في آية البقرة، وفي الجاثية [٥] ﴿ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾"[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف:٤]، قال: "انتقَلَ إلى الاستدلال على بطلان نفي صِفة الإلهيَّة عن أصنامهم، فجملة: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ ﴾ أمرٌ بإلقاء الدَّليل على إبطال الإشراك، وهو أصل ضلالهم.

وجاء هذا الاستدلال بأسلوب المناظرة، فجعل النبي ﷺ مُواجِهًا لهم بالاحتجاج؛ **ليكون إلْجَاءً لهم إلى الاعتراف بالعجز عن معارضة حُجَّتِه**، وكذلك جرى الاحتِجاج بعده ثلاث مرَّات بطريقة أمر التَّعجيز بقوله: ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ ﴾. و﴿ أَرَءَيۡتُم ﴾ استفهام تَقْرِيرِيٌّ، فهو كناية عن معنى: أَخْبِرُونِي، وقد تقدم في سورة الأنعام"[(٢)].

☑ ثاني عشر: الشيخ الهرري (من المعاصرين: ت١٤٤١هـ):

قال: "وعبارة المراغي هنا قوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ﴾ [الأنعام:١٢] هذا تقرير للجواب نيابة عنهم، **أو إلجاء لهم إلى الإقرار** بأن الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٩).

خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا آخر إليه. وإتيان السائل بالجواب يحسن إذا كان ما يأتي به هو عين ما يعتقده المسؤول أو يغفل عنه أو ينكره لجهله أو غفلته عن كونه لازمًا لما يعرفه ويعتقده انتهت"[1].

وقال أيضًا: "﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الأنعام: ٨١] دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن: الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشرك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله، وإن كان قد علم قطعًا أنه هو الآمن لا هم، كما قال الشاعر:

فَلَئِنْ لَقِيتُكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنْ أَيِّي وَأَيُّكَ فَارِسُ الأَحْزَابِ[2]

أي: أينا، ومعلوم عنده أنه هو فارس الأحزاب لا المخاطب.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر.. فأخبروني بذاك وبيِّنوه بالأدلة. **وفي هذا إلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق**، أو السكوت على الحمق والجهل. والمعنى: أي إذا كان الأمر على ما تقدم من أن معبودي هو الله المتصف بتلك الصفات، ومعبودكم هي تلك المخلوقات.. فكيف تخوفوني بها"[3].

☑ ثالث عشر: مجمع البحوث:

في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١]، ورد ما نصه: "أَي: فأَينا في موقف الأَمن من وقوع المكروه الذي تخوفوننا به؟!

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٢/ ٢٢٨).

(٢) البيت بلا نسبة في شرح التصريح، للأزهري (٢/ ٤٤)، والمحتسب، لابن جني (١/ ٢٥٤)، ومغني اللبيب، لابن هشام (ص١٤١)، وهمع الهوامع، للسيوطي (٢/ ٥١).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٨/ ٤٣١).

وفي هذا إلجاءٌ لهم إلى الاعتراف باستحقاقه -عليه الصلاة والسلام- الأَمن والطمأْنينة دونهم"[1].

ثانيًا: أسماؤه:

يتبين مما سبق أنَّ علماء التفسير يسمونه: إلجاءً، وتقريرًا.

والفرق بين الإلجاء والتقرير:

يظهر من تعاريف بعض العلماء أنهم لا يُفَرِّقُون بين الإلجاء والتقرير.

قال الرضي: "ومعنى التقرير: إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه"[2]. وقال في موضع آخر: "وإذا دخلت همزة الاستفهام على (لمْ) و(لَمَّا) فهي للاستفهام على سبيل التقرير، ومعنى التقرير: إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨]، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١]، وقوله:

إليكم يا بني بكر إليكم ألَمَّا تعرفوا مِنَّا اليقينا"[3][4].

وقال الطيبي: "تقرير، قيل: أي **إلجاء إلى الإقرار**"[5].

وقال عبد الخالق عضيمة: "التقرير، ومعناه: حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عند ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره"[6].

---

(١) التفسير الوسيط لمجمع البحوث (٣/ ١٢٧٩).

(٢) شرح الكافية، للرضي (٢/ ٢٥١). وانظر: همع الهوامع، للسيوطي (٢/ ٥٦).

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته. انظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني (١/ ٢٣٠).

(٤) شرح الكافية، للرضي (٤/ ٨٣). وانظر: دراسات لأسلوب القرآن، لعضيمة (٢/ ٦١٠).

(٥) فتوح الغيب، للطيبي (٦/ ٣٢).

(٦) دراسات لأسلوب القرآن، لعضيمة (٢/ ٦١٠).

والحق أنَّه يوجد فرقٌ لطيفٌ بين التقرير والإلجاء، وضحَّه ابن عاشور بقوله: "والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ مجازًا في التَّقْرِيرِ. والتَّقرير هنا مُراد به لازِم معناه، وهو تَبْكِيت المشركين، وإلجاؤُهم إلى الإقرار بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشِّركي، فهو مُسْتَعْمَلٌ في معناه الكِنائيِّ معَ معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكِنَائِيُّ.

ولكونه مُرادًا به الإلجاء إلى الإقرار، كان الجوابُ عنه بما يُرِيدُهُ السَّائِلُ من إقرار المسؤول مُحَقَّقًا لا محيص عنه؛ إذ لا سَبِيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلِذلك لم ينتظر السائلُ جوابَهم، وبادرهم الجواب عنه بنفسه"(١).

فبيَّن أن الإلجاء من لازم معنى التقرير، فهو معنًى كنائيٌّ وليس معنًى صريحًا، فتبيَّن بهذا الفرق بين التقرير والإلجاء وأنهما ليسا بنوعٍ واحد.

ومما يدل على التغاير بينهما أيضًا أنَّ الألوسي فرَّق بينهما فقال: "وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير للجواب نيابة عنهم، **أو إلجاء لهم إلى الإقرار** بأن الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"(٢)؛ فاستخدامه (أو) بين التقرير والإلجاء يدلُّ على أنه يوجد فرق بينهما.

ومما يدل على ذلك أيضًا ما قاله شهاب الدين الخفاجي: "قوله: (تقرير لهم) التقرير له معنيان: الحمل على الإقرار، والتثبيت بأن يجعله قارًّا متمكنًا، ومنه تقرير المسألة، وكلاهما مما نطقت به كتب اللغة كما ذكره الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ومعناه على الثاني: أنه تقرير للجواب لأجلهم؛ أي: نيابة عنهم كما في الكشاف، **وعلى الأول إلجاء إلى الإقرار بأن الكل له، لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر**

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠، ٣٦٨).

(٢) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨). وانظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٧١).

على إنكاره أحد كما قاله النحرير"[1]. فهذا واضحٌ في أن التقرير له معنيان، وأنَّ الإلجاء أحد معنييه.

ويدل على ذلك أيضًا أنَّ ابن عاشور جعل الإلجاء نتيجة للتقرير، فقال في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:٤٦]، قال ابن عاشور: **"وهو استفهام مُسْتَعْمَلٌ في التَّقرير يُقصد مِنه إلجاء السَّامعين** إلى النَّظر في جوابه"[2]، فجعل الإلجاء هو مقصود التقرير، وهذا يدلُّ على التغاير بينهما.

۞ المطلب الثاني: أساليب الإلجاء.

☚ للإلجاء أساليب أربعة، وهي:

✍ **الأسلوب الأول:** أن يسأل السائلُ سؤالًا، ثم يتولَّى السَّائلُ الجوابَ لنفسه بنفسه بما يريده؛ لأن المسؤول لا يسعه إلا أن يجيب بذلك، أو يضطره للجواب بما يريد السائل لأنَّه لا يَقْدِرُ أن يُكَابِرَ وَيَجْحَد. نحو قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، فقد ذكر الجواب.

✍ **الأسلوب الثاني:** ألا يُذْكَرُ جواب مِن المسؤولين، بل يجيب السائل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد:١٦] إذ لا سبيل إلى الجحد.

✍ **الأسلوب الثالث:** أن يُخَيِّرَ السائلُ المسؤولَ بين أمرين، وأحدهما لا يمكن أن يجيب به، فيُلجِئُه إلى الإجابة الثانية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٢٧).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).

يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾ [طه: ٨٥، ٨٦]، قال البقاعي: "لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذي لا شبهة فيه، لما نصب عليه من الدلائل الباهرة، وأوضحه من البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان لطول العهد، أو عناد بسوء قصد، وكان من أبلغ المقاصد وأوضح التقرير إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد: سألهم عن تعيين أحد الأمرين، مع أنَّ طول العهد لا يمكن ادعاؤه"(١).

وكما في قوله تعالى: ﴿ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١](٢).

الأسلوب الرابع: أن يأتي على طريقة المناظرة.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤].

قال ابن عاشور: قال: "انتَقَلَ إلى الاستدلال على بطلان نفي صِفة الإلهيَّة عن أصنامهم، فجملة: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ ﴾ أَمرٌ بإلقاء الدَّليل على إبطال الإشراك، وهو أصل ضلالهم.

وجاء هذا الاستدلال بأسلوب المناظرة، فجعل النبي ﷺ مُواجِهًا لهم بالاحتجاج؛ ليكون إلْجَاءً لهم إلى الاعتراف بالعجز عن معارضة حُجَّتِه، وكذلك جرى الاحتِجاج بعده ثلاث مرَّات بطريقة أمر التَّعجيز بقوله: ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ ﴾. و﴿ أَرَءَيۡتُم ﴾ استفهام تَقْرِيرِيٌّ، فهو كناية عن معنى: أَخْبِرُونِي، وقد تقدم في سورة الأنعام"(٣).

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٢/ ٣٢٧).
(٢) انظر ما قاله الشيخ الهرري في تفسير حدائق الروح والريحان (٨/ ٤٣١) عند هذه الآية.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٩).

❁ المطلب الثالث: ثمرات الاستفهام الإلجائي.

• **أولًا: التقرير والاهتمامُ بما بعدَ فعْل الأمر**، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢]، فقوله: ﴿لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سؤال تبكيت، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير لهم؛ أي: هو الله، لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا منه إلى غيره[(١)].

• **ثانيًا: تَبْكِيتُ المشركين.**

• **ثالثًا: اعتراف المسؤول بالمراد؛** بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشِّرْكِيِّ. قال البقاعي: "مِن أبلغ المقاصد وأوضح التقرير: إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد"[(٢)].

• **رابعًا: دَمْغُهُم بالحُجَّة**، فهؤلاء القوم المقدَّر إلجاؤهم إلى الجواب، سواء أنصَفُوا فأَقَرُّوا حَقِّيَّةَ الجوابِ، أم أنكروا وكابروا، فقد حصل المقصود من دَمْغهم بالحُجَّة. وذلك كما نرى من فرعون عندما ناظره موسى عليه السلام في الآيات المذكورة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠]، ثم سأله تلك الأسئلة التي لم يجد لها حيلةً في مناظرتها كقوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:٣٠]؟ فلم يجد فرعون بدًّا ولا حيلةً من الاستجابة، فلجأ إلى التهديد والوعيد الذي يلجأ إليه من أُسْقِط في يده.

قال الزمخشري: "﴿قُلِ اللَّهُ﴾؛ أي: أنزله الله، فإنَّهم لا يقدرون أن يُناكروك، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٨).
(٢) نظم الدرر، للبقاعي (١٢/ ٣٢٧).

إلزام الحجة"[1].

• **خامسًا: إبلاغُ الْحُجَّة**؛ لِأنَّ الكلام مَسُوقٌ مَسَاقَ إبلاغ الحُجَّة، مُقَدَّرَة فيه محاورة، وليس هو محاورة حقيقية، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلم واحد.

• **سادسًا: جذب الانتباهِ والتشويق لِما بعدَه**؛ إذ إنَّ السامع مُتَلَهِّفٌ لمعرفة الجواب.

• **سابعًا: هذا الأسلوب أبلغ تأثيرًا.** قال السمعاني: "أمره بالجواب عقيب السؤال؛ ليكون أبلغ في التأثير، وآكد في الحُجَّة؛ لأنَّ مَن سألَ غيرَه عن شيء، ثُمَّ عَقَّبَه بالجواب، كان ذلك أبلغ تأثيرًا"[2]. وقال البغوي: "أَمَرَهُ بالجواب عَقِيبَ السُّؤالِ؛ ليَكون أبلغ في التأثير، وآكد في الحُجَّةِ"[3].

• **ثامنًا: تركيب الاحتجاج القاطع على السؤال.** كما قال الزمخشري فيما ذُكِر سابقًا: قال في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:١٢]: "فإذا تَحَيَّروا ولم يُجيبوا قل: لله.

وقالت فرقة: المعنى: أنَّه أُمِر بهذا السؤال، فكأنهم لَمَّا لم يُجيبوا ولا تَيَقَّنُوا سألوا، فقيل له: قل لله.

والصحيح: أنَّ الله ﷻ أمر محمدًا ﷺ بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي، الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد؛ ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم، **ثم يتركب احتجاجه عليه**، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾".

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٤).
(٢) تفسير السمعاني (٢/ ٩١).
(٣) معالم التنزيل، للبغوي (٢/ ١١١).

• **تاسعًا: الإشارة إلى ظهور الجواب بما لا يُقْدَر على ردِّه.** قال الألوسي: "وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلجاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكِر، ولا على دفعه دافِع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن -كما قال الإمام- في موضع يكون فيه الجواب كذلك"[1].

.....

(١) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨).

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء في القرآن الكريم

◆ **الآية الأولى: قوله تعالى:** ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾، فيه إلجاءٌ لهم إلى أن يختاروا الإجابة بـ ﴿بَلَىٰٓ﴾. قال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد مِن الملائكة، ومن حيث كان الأمر بَيِّنًا في نفسه أنَّ الملائكة كافية، بادر المتكلم إلى الجواب؛ ليبني ما يستأنف من قوله عليه، فقال: ﴿بَلَىٰٓ﴾، وهي جواب المقررين، وهذا يَحْسُنُ في الأمورِ البَيِّنة التي لا محيد في جوابها، ونحوه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٩]"(١).

◆ **الآية الثانية: قوله تعالى:** ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢].

هذه الآية مِن أكثر الآيات التي تحدَّث عنها المفسرون وأثبتوا فيها الاستفهام الإلجائي، وذلك أنَّه عندما سألهم: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، لم يجِدُوا إجابةً يُجيبون بها إلا إجابة واحدةً، وهي: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾، قال الماتريدي في تفسير هذه الآية: "تقديره: فإن أجابوك وإلا فقل: لله، وقيل: تقديره: فقل لله، **فإنهم لا ينكرون**"(٢).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ٥٠٣).

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (١/ ٣٥٤).

قال الزمخشري: "فإذا تَحَيَّروا ولم يُجيبوا قل: لله، وقالت فرقة: المعنى أنَّه أُمِر بهذا السؤال، فكأنهم لَمَّا لم يُجيبوا ولا تَيَقَّنوا سألوا، فقيل له: قل: لله، والصحيح أنَّ الله ﷻ **أمر محمدًا** ﷺ **بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي، الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد**، ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم، ثم يتركب احتجاجه عليه، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، والوجه في المحاجّة **إذا سأل الإنسان خصمه بأمر لا يدافعه الخصم فيه**: أن يسبقه بعد التقرير إليه مبادرة إلى الحجة"[(١)]. فقوله: "الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد"، و"سأل الإنسان خصمه بأمر لا يدافعه الخصم فيه" بَيِّنٌ في الإلجاء.

وقال الزمخشري: "قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: سؤال تبكيت، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾: تقرير لهم؛ أي: هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا منه إلى غيره"[(٢)]. فقوله: "لا تقدرون" هو معنى الإلجاء.

وقد قال بمثل قول الزمخشري: أبو حيان[(٣)]، والثعالبي[(٤)]، وإسماعيل حقي[(٥)].

وقد فصَّل ابن عاشور ذلك ووضَّحه أيما توضيح بقوله: "جملة ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ تَكْرِيرٌ في مَقامِ الاستدلال، فإنَّ هذا الاستدلال تَضَمَّنَ استِفْهامًا تَقْرِيرِيًّا، والتقرير مِن مقتضيات التَّكْرِير، لذلك لَمْ تُعْطَف الجملة.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢/ ٢٧١).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٨).
(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٤/ ٤٤٦).
(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٢/ ٤٤٨).
(٥) روح البيان، للخلوتي (٣/ ١٣).

ويجوز أن يُجْعَل تَصْدِيرُ هذا الكلام بالأمر بأن يقوله مَقْصُودًا به الاهتِمامُ بِمَا بَعْدَ فِعْلِ الأمرِ بِالقوْلِ على الوَجْهِ الَّذي سَنُبَيِّنُهُ عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ في هذه السُّورة [٤٠]، والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ مجازًا في التَّقْرِيرِ.

والتَّقرير هنا مُراد به لازِمُ معناه، وهو تَبْكِيت المشركين، وإلجاؤُهم إلى الإقرار بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشِّركي، فهو مُسْتَعْمَلٌ في معناه الكِنائيِّ معَ معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكِنَائِيُّ.

ولكونه مُرادًا به الإلجاء إلى الإقرار، كان الجوابُ عنه بما يُرِيدُهُ السَّائِلُ من إقرار المسؤول مُحَقَّقًا لا محيص عنه؛ إذ لا سَبِيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلِذلك لم ينتظر السائلُ جوابَهم، وبادرهم الجواب عنه بنفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تَبْكِيتًا لهم؛ لأنَّ الكلامَ مَسُوقٌ مَسَاق إبلاغ الحُجَّةِ مُقَدَّرَةً فيه محاورة، وليس هو محاورةً حقيقيةً، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من مُتَكَلِّمٍ واحد.

فهؤلاء القوم المقدَّر إلجاؤهم إلى الجواب، سواء أنصفوا فأَقَرُّوا أَحَقِّيَّة الجواب، أم أنكروا وكابروا، فقد حصل المقصود من دَمْغِهم بالحُجَّةِ، وهذا أُسْلُوبٌ مُتَّبَعٌ في القرآن، فتارةً لا يُذكَر جوابٌ منهم، كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد:١٦]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، وتارة يَذْكُرُ ما سيُجِيبُونه به بعد ذكر السؤال منسوبًا إليهم أنَّهم يُجِيبُون به، ثُمَّ ينتقِلُ إلى ما يَتَرَتَّبُ عليه من توبيخ ونحوه، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]"[(١)].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠).

◆ **الآية الثالثة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

في هذه الآية الكريمة جاء الاستفهام بقوله تعالى: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ﴾، بعد أن هدَّدهم بأخذ سمعهم وأبصارهم والختم على قلوبهم، وبعد تخيُّل هذه الحالة حيث يُصْبِح الإنسان ضائعًا في ظلمات العمى والصَّمَم والجهل، فكان هذا الاستفهامُ ملجئًا لهم إلى الإيمان بأنَّه لا يمكن أن يأتيهم بسمع وبصر وعقل إلا الله. قال ابن عاشور: "﴿مَّنْ إِلَٰهٌ﴾ مُعَلِّقٌ لِفعل الرُّؤية؛ لِأنَّه استفهام؛ أي: أَعَلِمْتُم جواب هذا الاستفهام أم أنتم في شكٍّ، وهو استفهام مستعمل في التَّقرير، **يُقصد منه إلجَاءُ السَّامِعِين إلى النَّظر في جوابه، فيُوقنون أنَّه لا إله غير الله يأتيهم بذلك؛** لأنَّه الخالق للسَّمع والأبصار والعقول، فإنهم لا ينكرون أنَّ الأصنام لا تخلق، ولذلك قال لهم القرآن: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]"(١).

◆ **الآية الرابعة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

جاءتْ هذه الآية بوصفِ حالٍ تكونُ عليه العربُ في أسفارها، وهو ضياعُها في ظلمات البرِّ والبحرِ، وخاصَّة البحر، حيث يكون الإنسان في ظلمات لا يستطيع الهروب منها، والافتكاك عنها، فيتأمَّلُ الإنسانُ نفسَه في ذلك الوقت، مَن الذي يمكن أن ينجيه من ظلمات البر والبحر هذه، فكان العربُ في تلك الأوقات لا يلجأون إلا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويتركون ما يعبدونه من الأوثان والأصنام، فبعد أن استفهمهم بقوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).

ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، ألجأهم إلى الإجابة بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾.

قال القاضي أبو محمد: "وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم ﴾ الآية، سبق في **المجادلة إلى الجواب؛ إذ لا محيد عنه**"[1]. وقوله: "لا محيد عنه" هذا هو معنى الإلجاء.

وقال ابن عاشور: "وقوله: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤] استِئْنَافٌ ابتدائيٌّ، ولَمَّا كان هذا الكلامُ تهديدًا، وافتُتِح بالاستفهام التقريريِّ، تعيَّن أنَّ المقصودَ بضمائر الخطاب هم المشركون دون المسلمين، وأصرح من ذلك قولُهُ: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾.

وإعادةُ الأمرِ بالقول للاهتمام، كما تقدَّم بيانُه عند قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [الأنعام: ٤٠] الآية، **والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ في التقرير والإلجاء**؛ لكون ذلك لا يُنازَعُون فيه بحسب عقائد الشِّرْك"[2].

◆ **الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾** [الأنعام:٨١].

هذه الآية تتحدَّثُ عن وقوفِ الناسِ بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة، حيث جاءَ في ذلك اليوم مَن أطاعه، وجاء مَن عصاه وأشرك معه غيرَه، ففي ذلك الموقف يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا السؤال لهؤلاء الأقوام الذين

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢/ ٣٠٢). وانظر: الجواهر الحسان، للثعالبي (٢/ ٤٧٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٨٠).

ضلوا وعبدوا معه غيره، فقال سبحانه: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾، ثم جاءت الإجابة التي لا يستطيعون الفرارَ منها! فكيف يكون آمنًا من عصاه وأشرك معه غيره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

قال أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ ناطقٌ ببُطلانه حتمًا؛ فإنه كلام مرتَّبٌ على إنكار خوفِه -عليه الصلاة والسلام- في محل الأمن، مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف **مَسوقٌ لإلجائهم إلى الاعتراف** باستحقاقه -عليه الصلاة والسلام- لما هو عليه من الأمن، وبعدم استحقاقِهم لما هم عليه، وإنما جيءَ بصيغة التفضيلِ المُشعِرَةِ باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رُتبة المكابرةِ والاعتسافِ بسَوْق الكلام على سَنن الإنصاف، والمرادُ بالفريقين: الفريقُ الآمنُ في محل الأمن، والفريقُ الآمنُ في محلِّ الخوف، فإيثارُ مَا عليهِ النظمُ الكريمُ على أن يُقال: فأيُّنا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؛ **لتأكيد الإلجاءِ إلى الجواب الحقِّ بالتنبيه على علّة الحُكم**، والتفادي عن التصريح بتخطئتهم، لا لمجردِ الاحترازِ عن تزكية النفس"(١).

وقال الهرري: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن: الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشرك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله، وإن كان قد علم قطعًا أنه هو الآمن لا هم، كما قال الشاعر:

فَلَئِنْ لَقِيتُكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنْ أَيِّي وَأَيُّكَ فَارِسُ الأَحْزَابِ

أي: أينا، ومعلوم عنده أنه هو فارس الأحزاب لا المخاطب.

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٥٦).

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر.. فأخبروني بذاك وبيِّنوه بالأدلة. **وفي هذا إلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق، أو السكوت على الحمق والجهل"**(١).

◆ **الآية السادسة: قوله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

عندما بُعِثَ النبي ﷺ؛ كذَّبَه أُمَمٌ مِن الناس وطوائف، ومِن هؤلاء الذين كذبوه أُمَّة اليهود، الذين بالغوا في التكذيب به حتى قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، وهُنا بعد مقولتهم هذه جيءَ بسؤالٍ واستفهامٍ يسألهم عن الكتاب الذي أُنزِل عليهم: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، وهو سؤال لا يستطيعون إلا أن يجيبوا عنه بإجابةٍ واحدةٍ لا محيد عنها، وهو: الله الذي أنزل هذا الكتاب، فيكونُ ردًّا على نفيهم عدم نزول شيءٍ مِن قِبَلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده، فكان هذا الاستفهام استفهامًا إلجائيًّا.

قال الزمخشري: "﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: أنزله الله، **فإنَّهم لا يقدرون أن يُناكروك**، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد **إلزام الحجة"**(٢).

وقال أبو السعود: "﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أمرٌ لرسول الله ﷺ بأن يُجيبَ عنهم **إشعارًا بتعيُّن الجوابِ بحيث لا محيدَ عنه، وإيذانًا بأنهم أُفحموا ولم يقدِروا على التكلم أصلًا"**(٣).

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٨/ ٤٣١).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٤).
(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٦٢).

وقال ابن عاشور: "قد جَهِلُوا ما يُفْضِي إلى الجهل بصفةٍ من صفات الله تعالى التي هي صفة الكلام، وجهلوا رحمته للناس ولطفَه بهم.

ومَقالُهُم هذا يَعُمُّ جميع البشر؛ لوقوع النكرة في سياق النفي لنفي الجنس، ويعمُّ جميع ما أنزل باقترانه بـ﴿مِن﴾ في حيِّز النَّفْي للدَّلالة على استغراق الجنس أيضًا، ويَعُمُّ إنزالَ اللهِ تعالى الوحيَ على البشر بِنَفْي المتعلِّق بهذين العُمُومَيْنِ.

والمراد بـ﴿شَيْءٍ﴾ هنا شَيْءٌ من الوحي، **ولذلك أمر اللهُ نبيَّه بأن يُفْحِمَهم باستفهام تقريرٍ وإلجاء** بقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ **فذَكَّرهم بأمرٍ لا يستطيعون جحدَه**؛ لتواتره في بلاد العرب، وهو رسالة موسى، ومجيئه بالتوراة، وهي تُدْرَس بين اليهود في البلد المجاورِ مكَّةَ، واليهودُ يَتَرَدَّدُون على مكةَ في التجارة وغيرها، وأهلُ مكة يَتَرَدَّدُون على يَثْرِبَ وما حولها، وفيها اليهودُ وأحبارُهم، وبهذا لم يُذَكِّرْهم الله برسالة إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّهم كانوا يجهلون أنَّ اللهَ أنزل عليه صُحُفًا، فكان قد يَتَطَرَّقُهُ اختِلَافٌ في كيفية رسالته ونُبُوءَته، وإذا كان ذلك لا يسع إنكارَه كما اقتضاه الجوابُ آخِرَ الآيةِ بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، فقد ثَبَتَ أنَّ الله أنزل على أحدٍ من البشر كتابًا، فانتقَضَ قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ على حَسَبِ قاعدة نقض السالبةِ الكليَّةِ بمُوجَبَةٍ جُزْئِيَّةٍ"[1].

وقال: "وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جوابُ الاستفهام التقريري، **وقد تولَّى السائلُ الجوابَ لنفسه بنفسه؛ لأن المسؤول لا يسعه إلا أن يجيب بذلك؛ لأنَّه لا يَقْدِرُ أن يُكَابِرَ**، على ما قَرَّرْتُهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام:١٢]"[2].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٣٦٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٣٦٨).

◆ **الآية السابعة: قوله تعالى:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

في هذه الآية إلزامٌ للمشركين الذين لم يرضوا أن يُوَحِّدوا الله ﷻ ويتركوا عبادة الأوثان، جاءت هذه الاستفهامات المتتالية الإلجائية التي تلجئهم إلى أن يقولوا: إنَّه لا يفعل ذلك إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قال الزمخشري: "قوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ حتى قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]، ثم قال: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس:٣٢]، فكأنَّهم كانوا يُقِرُّون بألسنتهم مرّةً، ومرّةً كانوا يتلعثمون عنادًا وضرارًا وحذارًا مِن إلزام الحجة، ونحوه قوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الرعد:١٦]، **وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم"**[(١)].

وقال ابن عطية: **"هذا توقيف وتوبيخ واحتجاج لا محيد عن التزامه"**[(٢)].

◆ **الآية الثامنة: قوله تعالى:** ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [يونس:٣٤].

احتوت هذه الآيةُ على استفهامٍ إلجائيٍّ، أُلْجِئ فيه المشركون إلى الإقرار بأنَّ الله هو المستحق للعبادة، وذلك عن طريق استفهامهم عن إبداء الخلق وإعادته هل يفعل ذلك أحدٌ من شركائهم؟ فلمَّا كانت الإجابة لا؛ كان ذلك إلجاءً لهم إلى الاعتراف بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٨١).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ١١٧).

قال أبو جعفر الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس:٣٤]. يقول -تعالى ذِكْرُه- لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ يعني: مِن الآلهة والأوثان ﴿مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ يقول: مَن يُنشئ خَلْق شيءٍ مِن غير أصل، فيُحْدِثُ خلقَه ابتداءً، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يقول: ثم يُفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيَه، **فإنَّهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها، وفي ذلك الحجة القاطعة والدَّلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أربابٌ**، وهي لله في العبادة شركاء، كاذبون مفترون، فقل لهم حينئذ يا محمد: الله يبدأ الخلق، فينشئه من غير شيء"[(١)].

ففي قوله: "فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها" معنى الإلجاء، وإن لم ينصَّ عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقريبٌ من هذا ما قاله الزمخشري[(٢)].

◆ **الآية التاسعة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

في هذه الآيات استفهامان إلجائيَّان متتاليان: أولهما كان فيه السؤال عن الشركاء الذين يُشرك بهم مع الله: أيُوجَد فيهم من يهدي إلى الحق؟ فلمَّا لم يستطيعوا أن يُثْبِتوا ذلك لغير الله؛ جاء الاستفهام الإلجائي الثاني: أيكون الاتِّباعُ لمن يهدي إلى الحقِّ؟ أم يكون الاتباع لِمن لا يستطيع أن يهتدي إلا بهداية غيره له؟!

(١) جامع البيان، للطبري (١٥/ ٨٥).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٣٤٦).

قال ابن جرير: "**فإنَّهم لا يقدرون أن يدَّعوا أنَّ آلهتهم وأوثانهم تُرْشِدُ ضالًّا**، أو تهدي جائرًا، وذلك أنَّهم إن ادَّعوا ذلك لها أَكْذَبَتْهُمُ المشاهدةُ، وأبان عجزَها عن ذلك الاختبارُ بالمعاينة، فإذا قالوا: لا، وأقرُّوا بذلك، فقل لهم: فالله يهدي الضالَّ عن الهدى إلى الحق"[(١)].

◆ **الآية العاشرة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦].

هذه الآية مثل آيات سابقةٍ أُلْجِئ فيها المشركون إلى الإقرار برب السموات والأرض. قال الماوردي: "قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَمَر اللهُ تعالى نبيَّه أن يقول لمشركي قريش: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ثُمَّ أمره أن يقول لهم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ **إن لم يقولوا ذلك إفهامًا قالوه تقريرًا؛ لأنَّه جعل ذلك إلزامًا**"[(٢)].

وقريب منه قول الزمخشري[(٣)].

◆ **الآية الحادية عشرة: قوله تعالى:** ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: ٨٥، ٨٦].

عندما ذهب موسى للقاء ربِّه ترك قومَه مع أخيه هارون موصيًا إياهم بالاستقامة على حدود الله واتباع شرعه، ولكنهم -كعادة بني إسرائيل-

(١) جامع البيان، للطبري (١٥/ ٨٧).
(٢) النكت والعيون، للماوردي (٣/ ١٠٥).
(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٥٢٢).

خالفوا أمره، وعبدوا العِجْلَ من بعده، فجاءهم بهذا الاستفهام مخيِّرًا إياهم بين خيارين لا يستطيعون إلا اختيار أحدهما، فكان الاختيار بين أمرين: هل طال عليكم العهد؟ وهذا لا يمكن أن يختاروه، وكان الخيار الثاني: هل أردتم أن يحل عليكم غضبٌ من ربكم؟! فألجأهم إلى اختيار هذه الإجابة وإن كانوا لم يريدوا ذلك أصلًا.

قال البقاعي: "لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذي لا شبهة فيه، لما نصب عليه من الدلائل الباهرة، وأوضحه من البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان لطول العهد، أو عناد بسوء قصد، **وكان من أبلغ المقاصد وأوضح التقرير إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف** بالمراد: سألهم عن تعيين أحد الأمرين، مع أنَّ طول العهد لا يمكن ادعاؤه"[1].

◆ **الآية الثانية عشرة: قوله تعالى:** ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥].

وهذه الآية شبيهةٌ بآيات سابقة كان فيها إلجاءٌ إلى الإقرار بأحقيَّةِ الله بالعبادة دون مَن سواه.

قال القاضي البيضاوي: "﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ إن كنتم مِن أهل العلم، أو مِن العالمين بذلك، فيكون استهانةً بهم، وتقريرًا لفرط جهالتهم، حتى جهلوا مثل هذا الجَلِيِّ الواضح؛ **إلزامًا بما لا يمكن لِمَن له مَسْكَةٌ مِن العلم إنكارُه**، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يُجيبوا، فقال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ **لأنَّ العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظرٍ إلى الإقرارِ بأنه خالقها**"[2]. فقوله: "إلزامًا"، و"قد اضطرهم" جليٌّ في معنى الإلجاء.

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٢/ ٣٢٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٩٣).

وقال ابن كثير: "﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ ﴾؛ أي: مَن مالِكها الذي خلقها ومَن فيها مِن الحيوانات والنباتات والثمرات، وسائر صنوف المخلوقات ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾. ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾؛ أي: فيَعْتَرِفُون لك بأنَّ ذلك لله وحده لا شريك له"[1]. فقوله: "فيعترفون لك" هو بسبب إلجائهم.

◆ الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧].

وهذه مثل سابقتها[2].

◆ الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

وهذه مثل سابقتها[3].

◆ الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٢، ٦٣].

في هذه الآية إلزامٌ في مقامٍ لا ينفع معه الالتزام، فإنَّ هذا السؤال يكون في عرصات يوم القيامة، حيث لا ينفع ندمٌ ولا إجابة، ويُراد بهذا الإلزام إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل في ذلك المقام حتى لا يبقى لدى أحدٍ مُسْكَةٌ من شكٍّ. قال ابن عاشور: "وكان هذا الْمَقْصِدُ **إِلْجَاءً مِن الله إيَّاهم** لِيُعْلِنوا تَنَصُّلَهُم مِن ادِّعاء أنَّهم شُركاء على رؤوس الملأ"[4].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٤٨٩).
(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٥٢٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).
(٣) انظر: المرجعين السابقين.
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ١٥٩).

◆ **الآية السادسة عشرة: قوله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١].

تُقَرِّرُ هذه الآية كما تُقَرِّرُ سابقاتُها وحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ربوبيته، والتي يُلتزم بها وحدانيته في ألوهيته، ولنذكر في هذا المقام ما قاله عبد الكريم الخطيب في أسلوبٍ جماليٍّ حيث يوضح المراد من الإلجاء هنا بقوله: "﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ بعد هذه الوقفة مع هؤلاء المؤمنين الذين حملهم المشركون على الهجرة من أوطانهم، بما أخذوهم به من بأساء وضراء- عادت الآيات لتلقي المشركين بقذائفها المدمّرة، التي تدكّ بها حصون الشرك، وتهدم قلاعه، بحجتها الدامغة، وبيانها المبين...

فالمشركون هنا، في مواجهة سؤال، هو: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾؟

وإنه لا يجرؤ أحد منهم أن يجيب بأن آلهتهم تلك الجاثمة على الأرض هي التي خلقت السموات والأرض، وأنها هي التي سخرت الشمس والقمر...

فمن إذن الذي خلق؟ ومن الذي سخّر؟ جواب واحد، هو الله الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر... إنهم لا ينكرون هذا، ولا سبيل لهم إلى إنكاره.. وإذن فكيف يصرفون وجوههم عن الله، ويقبلون على هذه الدّمى يعبدونها من دونه؟ أليس هذا سفهًا وضلالًا؟ وبلى إنه السّفه والضلال والضّياع أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ هو تعقيب على هذا السؤال، وعلى الجواب الذي أجابوا به نطقًا، **أو إلجاءً، وإلزامًا**، إذ لا جواب لهم غيره! ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾"[1].

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٤٦٤).

◆ **الآية السابعة عشرة: قوله تعالى:** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣].

ما زالتِ الآياتُ ترِدُ في مقام إقرار استحقاق الله للوحدانية دونَ مَن يُعْبَدُ معه مِن قِبَلِ المشركين، فجاءُ الإلزام لهم والإلجاء بأن يقولوا: الله هو الذي نزل الماء من السماء، وهو الذي يحيي الأرض بعد موتها.

قال ابن عاشور: "قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٥٠]، وقال: ﴿ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم:١٩]، ولَمَّا كان سياق الكلام هنا في مَساق التَّقرير كان الْمَقام مُقتضيًا لِلتَّأكِيد بِزيادة ﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ **إلجاءً لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم**؛ فلذلك لم يكن مُقتضًى لزيادة (مِن) في آية البقرة، وفي الجاثية [٥] ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾"[(١)].

◆ **الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

وهذه إحدى الآيات التي يُحتج بها على أنَّ الرازق هو الله، فهو المستحق للعبادة، لأنَّه لا يمكن أن يقولوا: إنَّه يوجد خالقٌ غير الله.

قال ابن عطية: "أمر الله تعالى نبيَّه على جهة الاحتجاج وإقامة الدليل على أنَّ الرزاق لهم من السماوات والأرض مَن هو، ثم أمره أن يقتضب الاحتجاج بأن يأتي جواب السؤال؛ إذ هم في بهتة ووَجمة من السؤال، **وإذ لا جواب لهم** ولا لمفطور إلا بأن يقول هو الله، وهذه السبيل في كل سؤال جوابه

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩).

في غاية الوضوح؛ لأنَّ المحتجَّ يُريد أن يقتضب ويتجاوز إلى حُجَّةٍ أخرى يوردها، ونظائر هذا في القرآن كثيرة"[1]. وهنا فصّل في بيان معناه مِن حيث هو سؤال وجواب من نفس السائل ألجأهم به حيث قال: "وإذ لا جواب لهم ولا لمفطور إلا بأن يقول هو الله".

وقال ابن عاشور[2] بما يُفيد معنى ما قاله ابن عطية.

فهذا تطبيق عملي من المفسرين -رحمهم الله تعالى- في بيان هذا النوع من الاستفهام وأهميته. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٤١٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ١٩٢).

الخاتمة

توصلت مِن خلال دراستي لآيات الإلجاء إلى ما يلي:

١- أنَّ طائفة ليست بالقليلة مِن المفسرين من لدن الإمام الطبري وحتى عصرنا هذا قد تكلموا عن هذا الاستفهام الإلجائي.

٢- في الاستفهام الإلجائي دلالةٌ على قُوَّة الحُجَّة والبيان في القرآن الكريم، حيث أُفْحِم قريشٌ بجنس ما برعوا فيه، وهو الفصاحة والبلاغة في الخطاب.

٣- الاستفهام مستعمل في التقرير والإلجاء، كما أنَّه مستعمل في الإنكار، وفي التهكم والسخرية، وهَلُمَّ جَرّا.

٤- أنَّ المتكلم يُبادر إلى الجواب ليبني ما يستأنف مِن قوله عليه، فيقول: جوابًا عن المقررين: بَلى، حيث كان الأمر بينًا في نفسه، وهذا يحسن في الأمور البينة التي لا محيد في جوابها.

٥- إبلاغ الحجة؛ لأنَّ الكلام مسوق مساق إبلاغ الحجة، مقدرة فيه محاورة، وليس هو محاورةً حقيقية، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلم واحد.

٦- جذب الانتباه والتشويق لما بعده؛ إذ إنَّ السامع متلهف لمعرفة الجواب، فهو أبلغ تَأْثِيرًا.

٧- من الملاحظ كثرة استخدام هذا الأسلوب في آيات سورة الأنعام، ومن المعلوم والمتقرر عند أهل التخصص أنَّ هذه السورة قد جاءت لتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٨- بلغت عدد المواضع (١٨) موضعًا.

وأوصي طلبة العلم بمزيد اعتناء بهذا النوع من الاستفهام؛ إذ فيه ما سبق ذكره، وفيه من التقرير والفصاحة ما يظهر إعجاز القرآن.

المصادر والمراجع

١. «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د. ط، الهيئة المصرية العام للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢. «أحكام القرآن». المالكي، محمد بن عبد الله؛ ابن العربي المعافري الإشبيلي (ت٥٤٣هـ). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا. ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣. «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)». العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ). د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤. «الألفاظ». ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ). تحقيق: د. فخر الدين قباوة. ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م.

٥. «الإملاء والترقيم في الكتابة العربية». إبراهيم، عبد العليم (المتوفى بعد ١٣٩٥هـ). د. ط، مصر: مكتبة غريب.

٦. «الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية». الطوفي، أبو الربيع؛ نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري (ت٧١٦هـ). تحقيق: سالم بن محمد القرني. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ.

٧. «أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)». البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٨. «إيضاح شواهد الإيضاح». القيسي، أبو علي؛ الحسن بن عبد الله (ت القرن السادس). دراسة وتحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني. ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٩. «البحر المحيط في التفسير». الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت٧٤٥هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل. د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٠. «البرهان في علوم القرآن». الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت٧٩٤هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١١. «البلاغة العربية». الميداني، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة الدمشقي (ت١٤٢٥هـ). ط١، دمشق: دار القلم/ بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢. «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى (ت١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين. د. ط، دار الهداية، د. ت.

١٣. «التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت١٣٩٣هـ). د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٤. «تفسير الشعراوي». الشعراوي، محمد متولي (ت١٤١٨هـ). د. ط، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

١٥. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٦. «تفسير القرآن». السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ). تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم. ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٧. «التفسير القرآني للقرآن». الخطيب، عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠هـ). د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

١٨. «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ). ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٩. «تفسير المنار». رضا، محمد رشيد (ت١٣٥٤هـ). د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٠. «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢١. «تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن». الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء». العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت نحو ٣٩٥هـ). عني بتحقيقه: د. عزة حسن. ط٢، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٦م.

٢٣. «التنوير شرح الجامع الصغير». الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح (ت١١٨٢هـ). تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم. ط١، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٤. «تهذيب اللغة». الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٥. «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر (ت٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦. «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع». الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت١٣٦٢هـ). ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. د. ط، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

٢٧. «الجواهر الحسان في تفسير القرآن». الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت٨٧٥هـ). تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٢٨. «حاشية السندي على سنن النسائي». السندي، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي نور الدين (ت١١٣٨هـ). ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٩. «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)». الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ). د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

٣٠. «دراسات لأسلوب القرآن الكريم». عضيمة، محمد عبد الخالق (ت١٤٠٤هـ). د. ط، القاهرة: دار الحديث، د.ت.

٣١. «درر الحكام في شرح مجلة الأحكام». أفندي، علي حيدر خواجة أمين (ت١٣٥٣هـ). تعريب: فهمي الحسيني. ط١، دار الجيل، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣٢. «الذريعة إلى مكارم الشريعة». الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ). تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. د. ط، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٣. «رد المحتار على الدر المختار». ابن عابدين، محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي (ت١٢٥٢هـ). ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٤. «روح البيان. الخلوتي»، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت١١٢٧هـ). د. ط، بيروت: دار الفكر.

٣٥. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٦. «شرح التصريح على التوضيح». الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد (ت٩٠٥هـ)، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٧. «شرح المعلقات السبع». الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين (ت٤٨٦هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٨. «العين». الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت١٧٠هـ). تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي. د. ط، دار ومكتبة الهلال، د. ت.

٣٩. «غرائب التفسير وعجائب التأويل». الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين المعروف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ). د. ط، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية/ بيروت: مؤسسة علوم القرآن، د.ت.

٤٠. «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب». الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت٧٤٣هـ). ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤١. «القاموس الفقهي لغةً واصطلاحًا». أبو حبيب، د. سعدي. ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٢. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله (ت٥٣٨هـ). ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٤٣. «اللباب في علوم الكتاب». ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٤. «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ). ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٤٥. «المبسوط». السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت٤٨٣هـ)، د. ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٦. «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها». ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت٣٩٢هـ). د. ط، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٧. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٤٨. «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت٤٥٨هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٩. «مختار الصحاح». الرازي، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط٥، بيروت: المكتبة العصرية والدار النموذجية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٠. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ). د. ط، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

٥١. «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت٥١٠هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٢. «معجم اللغة العربية المعاصرة». عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد (ت١٤٢٤هـ). ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥٣. «المعجم الوسيط». مجمع اللغة العربية بالقاهرة. د. ط، دار الدعوة، د.ت.

٥٤. «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب». ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت٧٦١هـ). تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله. ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.

٥٥. «مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)». الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت٦٠٦هـ). ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٦. «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين». الأشعري، أبو الحسين علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ). عني بتصحيحه: هلموت ريتر. ط٣، ألمانيا: دار فرانزشتايز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥٧. «الموسوعة الفقهية الكويتية». وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

٥٨. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت٨٨٥هـ). د. ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٥٩. «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ). تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٦٠. «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد». البسيلي، أبو العباس التونسي (ت٨٣٠هـ). تقديم وتحقيق: محمد الطبراني. ط١، الدار البيضاء: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦١. «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ). د. ط، مكة: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

٦٢. «همع الهوامع في شرح جمع الجوامع». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. د. ط، مصر: المكتبة التوفيقية، د.ت.

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ١٤٩

المقدِّمة ١٥٣

أهمية الموضوع ١٥٤

أسباب اختياره ١٥٤

خطة البحث ١٥٦

منهج البحث ١٥٧

التمهيد: التعريف بمفردات العنوان ١٥٨

المطلب الأول: الاستفهام لغةً، واصطلاحًا ١٥٨

المطلب الثاني: الإلجاء لغةً، واصطلاحًا ١٦٣

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية ١٧١

المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسماؤه ١٧١

المطلب الثاني: أساليب الإلجاء ١٨٤

المطلب الثالث: ثمرات الإلجاء ١٨٦

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء في القرآن الكريم ١٨٩

الخاتمة ٢٠٥

المصادر والمراجع ٢٠٧

فهرس الموضوعات ٢١٧

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

The eighth issue, Rajab 1441 AH, corresponding to March 2020, the fourth year

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **The Qur'anic Purposes of Sura Qāf**
  Hammad Mohammed Yusuf
- **The Eloquence of the Koranic Style of Dialogue: the Prophets' Dialogue with their Children as a Model**
  Dr. Badria Saeed Mo'eedh Al-Wadi'ee
- **Compulsory Question in the Koranic Dialogue: a Thorough Applied study**
  Dr. Hamid bin Radı bin Muslih Ar-Rouqi
- **Basing the Chapter of Al-Haqqah on the Glorification of Allah (Exalted be He) and the Requisites of Devotion**
  Dr. Tawfiq Ali Zabadi
- **A Report on a scientific thesis entitled "Meditating on the Noble Koran"**
  Dr. Abdullatif bin Abdullah Al-Tuwaijri
- **A Report on the Mushaf of the Spiritual Directives of the Noble Quran**
- **A Report on The Second International Quranic Conference on the Spiritual Directives of the Noble Quran**

25 SR
1658-7642